مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 08/ العدد: 03 جوان (2022) - ص 267- 277

ملامح الدّرس اللّساني للتّفسير البياني عند الشّيخ الأخضر الدّهمة-كتاب قطوف دانية سورة الضّحى أنموذجًا

Features of the Linguistic Lesson of the Graphic Interpretation of Sheikh Al-Akhdar Al-Dahma - book Qutouf Dania Surat Al-Duha as a model

حمزة العثماني[1] سليمان بن سمعون
Lotmani142017@gmail.com dr_bslimane@yahoo.fr
جامعة غرداية/ الجزائر

تاريخ الاستلام: 2021/10/30 تاريخ القبول: 2022/04/05 تاريخ النشر: 2022/06/16

ملخص البحث

يأتي هذا البحث ليقف على ملامح الدّرس اللّساني في كتاب قُطوف دانية ،وإبراز أثرها من خلال فهم الآليات التي تُؤثر بها اللّسانيات على التّفسير البياني عند الشيخ الدّهمة، مُحاولين بذلك فهم كَنَهِهِ ،ومُحتواهُ وتجلياتِهِ، و إبراز جُهوده في تأصيل مَلمحية التّفسير من خلال علاقته باللّسانيات من جهة وإعجاز القرآن من جهة أخرى ،فجاءت هذه الدّراسة لتُبيّن الملامح اللّسانية للتّفسير البياني عند الشّيخ الدّهمة من خلال كتابه قُطوف دانية.

الكلمات المفتاحية :التّفسير – الملامح اللّسانية –البيان-التّفسير البياني –اللّسانيات –الإعجاز القرآني

ABSTRACT:

The present research paper sheds light on the features of the linguistic lesson in the book "koutouf Dania", and highlight its impact through understanding the mechanisms by which linguistics affects the graphic interpretation of Sheikh Al-Dahma, attempting to grasp its essence, content and manifestations, and highlight the author's efforts in building the features of interpretation through its relationship to linguistics on the one hand, and the miraculousness of the Qur'an on the other hand. On this basis, this study aims to show the linguistic features of the graphic interpretation of Sheikh Al-Dahma through his book "koutouf Dania".

Keywords: interpretation - linguistique features - statement - graphic interpretation - linguistics - the Qur'anic miracle

[1] المؤلف المرسل : حمزة العثماني

مقدمة:

يُعد تفسير القرآن الكريم الخاصية الأولى التّي أظهرت معالم الدّرس اللّغوي، حيثُ اِهتم المفسرُون وعُلماء اللُّغة بخدمته في جميع المستويات اللُّغوية الصّرفية، والنحوية ،والدّلالية، والمعجمية فاهتموا بالنّص القرآني تفسيرًا وتأويلاً من خلال الوُلُوج إلى بُناه السّطحية والعميقة على حدٍ سواء ،والنّاظر إلى الدّرس اللِّساني على تعدد مناهجه ومجالاته نجدُه قد اِهتم بالنّص القُرآني وبشفراته وملامحه للوُصُول إلى الدلالة المعلُومة بُغية تصحيح كل تَغليط وظلال وكشف اللُّبس عن آيات القرآن الكريم فأضحت هذه الملامح من ضِمن الوسائل التي يستعملها المُفسر في اِستبطان القرآن الكريم واِستقراء آياته واكتشاف دلالة الألفاظ المتوارية خلف المُفردات، مُركزين على الحذر في التعامل مع هذه النصوص المُقدسة التي لا يحقُ ولا يجُوزُ العبث في مضامينها وبُناها ،ومن هذا المُنطلق نطرُح الاِشكالية التّالية :ما مدى تجلي ملامح الدّرس اللّساني وأثرها على التفسير البياني في كتاب قُطُوف دانية ؟وإلى أيّ مد ى وفّق الشيخ في تطبيق المنهج البياني على تفسيره ؟

وكان الدّافع لهذا الطّرح هو شغفُنا بالدّراسات اللُّغوية التي تتعلق بالجانب القُرآني ونهدفُ من خلاله إلى فهم الجُهود اللُّغوية للمفسّرين ومحاولة اِستثمارها ،ونُسلّط الضّوء على مدى اِستفادة علم التّفسير من الدّرس اللّساني الحديث ونُثمّن جُهود الشيخ في هذا المجال ،واِعتمدنا في تحقيق تلك الأهداف على المنهج الوصفي التّحليلي لِجُل القضايا التي تتعلق بالبحث، كما اِعتمدنا على استقراء كلام الشّيخ الدّهمة للوصول إلى الغاية اللُّغوية التي يُريد اِظهارها وبيانها.

1. البيانُ في الدّرس التّفسيري قراءة في الماهية والمُصطلح:1-

1-1البيانُ: الكشف عن المعنى سواءٌ كان ذلك باللّفظ أو غير اللّفظ ،كالإشارة وغيرها أما البيانُ عند الجاحظ (ت 255ه)"اِسم جامعٌ لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضّمير حتى يُفضي السّامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيان ،فبأي شيء بلغت الاِفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع "[1]

وقد تناول العُلماء قديما البيان القرآني من منظُور الاِعجاز البلاغي الذي ضَلَّ ركيزة أساسية في بناء الاِعجاز القرآني "لأنه الواضح بالنسبة للعرب ولأنه هو الذي شَذ به العربٌ عند أول نزول فحيّرهم وهم المُدركُون لأساليبه العارفُون لمناهِجه "[2]

والنّاظر في العصر الحديث يجد ثُلّةٌ من الدّارسين والعُلماء يخُوضُون في المنهج البياني في تفسير القرآن لعلهم يكشفُون بعض أسراره اللُّغوية ،وملامحه اللّسانية ،ومن بين هؤلاء مُصطفى صادق الرّفاعي في كتابه ~اِعجاز القرآن والبلاغة النّبوية ~ والشّيخ أمين الخولي في كتابه~ مناهج تجديد في النحو والبلاغة ~ والسّيد قُطب في كتابه ~التّصوُّر الفني للقرآن الكريم ~و~في ظلال القرآن ~وتلميهم

عائشة بنت الشاطئ في ~التّفسير البياني للقرآن الكريم ~وفاضل صالح السّامُرائي في كثير من كُتبه،هذا إن دل على شيء فإنما يدُلُّ على أن التّفسير البياني للقرآن يُركز على ضرُورة فهم القرآن الكريم من خلال السِّياق المُتمثل أساسًا في دراسة المُفردة القرآنية والتّراكيب، بالإستعانة بالعُلوم الأخرى كالبَلاَغة ،والنحو وغيرها ،وقد تعرّضَت لهذا عائشة بنت الشّاطئ في كتاب زوجها ~مناهجُ التّجديد لأمين الخولي ~

بقولها :

✓ الأصل في المنهج التّناول الموضوعي لما يُراد فهمه من كتاب الإسلام ويبدأ بجمع كُل ما في الكتاب المُحكم من سُور وآيات في الموضُوع المدرُوس.

✓ في فهم ما حول النّص :ترتب الآيات فيه على حسب نُزولها لمعرفة ظُرُوف الزّمان والمكان كما يُستأنسُ بالمروِيات في أسباب النُّزول من حيث هي قرائن لابَست نُزُول الآية.

✓ في فهم دلالة الألفاظ نلتمس الدّلالة اللُّغوية الأصيلة التي تُعطينا من العربية للمادة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية ،ثم نَخلُصُ للمح الدّلالة القرآنية باستقراء كُل ما في القُرآن من صيغ اللّفظ وتدبُّر سياقها الخاص في الآية والسُّورة وسياقها العام في القرآن كُلّه.

✓ في فهم أسرار التعبير :يَحتكمُ إلى سياق النّص في الكتاب المُحكم مُلتزمين بما يَحتمله نصًا ورُوحًا ونعرض عليه أقوال المُفسرين فنقبل منها ما يقبله النّص، ونتحاشى ما أُقحِم على كُتب التّفسير من مدسُوس الإسرائليات وشوائب الأهواء المذهبية وبِدع التّأويل كما نحتكم إلى الكتاب المبني في التوجه الإعرابي والأسرار البيانية نعرضُ عليه قواعد النّحويين البلاغيين ولا نعرضه عليها ولا نأخذ فيه بتأويلِ لعلماءِ السّلف على صريح نصّه وسياقه ،لتسوية قواعد الصّنعة النّحوية والبلاغية ،إذ القرآن هو الذُّروة العُليا في نقاء أصالته وإعجاز بيانه وهو النّص الموثّق الذي لا تَشُبْهُ أدنى شائبة مما تعرضت له رواية نصُوصِ الفُصحى من تحريف أو وضع "[3]

ولعل الشّيخ الدّهمة خيرُ من تَلَقّفَ فكرة أستاذتنا فقد جسّدها في بُحوثه ودراساته أهمها كتاب قُطوف دانية ولو أنه يُعد جُزئية في جزأين الأول تضمّن (الفاتحة ،يس،الحُجُرات،الحَشر) والثّاني تضمّن قُصار السُّور من سورة الضحى إلى سُورة النّاس.

2-منهج الشّيخ الأخضر الدّهمة في تفسيره :

إن المُتصفّح لكتاب قطوف دانية ليَلحَظ في أول وهلة أن الشّيخ الأخضر الدّهمة قد سار على خُطّةٍ تفسيرية مُحكمة ومنهجٍ لُغوي دقيق فجاء تفسيرُه مُرتّب الأفكار قوي الإستدلال بليغ الأسلوب سَلِسُ العبارة، وفيما يأتي نُبين المنهجية التي اِتبعها في تفسير السور والآيات المُحكمات :

-اِستناد الشّيخ على القُرآن الكريم إذ القُرآن يُفسّرُ بَعضهُ بعضًا ثم ما ثَبّت عن النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به السّلف هذا إن دل على شيء فإنما يدلُّ على سلامة منهجه.

-تقديم النّصيحة والوعظ كُلّما اِقتضى الأمر ويظهر هذا من خلال تفسيره بعض الآيات القرآنية، وهذا يدُل على اِهتمامه بالتّطبيق الفعلي وليس النّظري فقط.

-يتطرق إلى شرح المُفردات والكلمات ويستشهد بالأبيات الشّعرية مُتّبعًا منهج التّفسير اللُّغوي بُغية فهم مُفردات القرآن الكريم.

-يعتمدُ على نظائر القُرآن الكريم فقد يُورد تفسيراً للآية ويأتي بما يُقابلها من القرآن الكريم فهو بذلك يستندُ إلى التّفسير المَوضُوعي، يقول طاهر اِبراهيمي :"إذا أردنا وضع عُنوان لمنهج الشّيخ الأخضر الدّهمة في تفسيره القرآن بالقرآن، فهو جمعُ نظائر الآيات حيث تَكثُر في صفحات الكتاب عبارة ونَظيرُ هذه الآية "[4]

-يُبين الشّيخ مصادره في التفسير فكثيرًا ما يستشهدُ بما جاء في كتاب التّحرير والتنوير للطّاهر بن عاشور، وتفسير اِبن كثير فهؤلاء من كبار المُفسِّرين، يقول الشّيخ الدّهمة :"ومنهجي في التّفسير أنّي أتلو الآيات التي أقصد إليها تلاوةً مُتأنية أحاول بها اِقتناص المعاني القريبة التّناول وتحديد الآيات التي تستوجبُ ببعض كبار المُفسرين ومُحققيهم وعند اِختلافهم أُقارنُ بين أقوالهُم مُحكِّمًا النّقل الصّحيح"[5]

-النّظرة الشّاملة للقرآن فالشّيخ الدّهمة ينظُر إلى القرآن بنظرة الشُمول من خلال مُدارسة القرآن وحُسن تدبُّره ،فهو يتأمل في كُلِّ سُورة ويتدبر في مقاصدها وأهدافها قبل التّوجه إلى تفسيرها هذا ما يمنحُه القُدرة عل الإستنباط والوقوف على سِياق الآيات، يقول لُطفي الصّباغ :"لا بد من أن تتوافر لمُبتغي التَفسير دراسة شاملة مفصلة ونظرةٌ عامة لجوانب هذا الكتاب الكريم وهذه القاعدة مُنطلق في فهم أي نص فهمًا صحيحًا فلا يجُوز أن نُطيل الوُقوف أمام جُملة من النّص ونستنبط منها أحكامًا ونَغُضُّ بصرنا ونغلق فكرنا على الجُمل الأخرى "[6]

-تجنُّب الإستطراد إلى ما لا صِلة له بالتفسير :فالشّيخ الدّهمة التزم بتفسير النّص القرآني دون اللّجوء إلى ما لا صِلة له بالتّفسير، حتى لا يخرُج عن مقاصد القرآن الحقيقية و أهدافه ومعانيه ،وما رُجُوعُهُ إلى اللّغة والبلاغة والقراءات وغيرها من العُلوم إلا ليأخُذ منها بقدر ما يُبين معنى أو يستنبط فائدة أو يدفع اِشكالاً أو يُزيلُ غموضًا، فالتّوسُعُ في مسائل النّحو وأساليب البَلاغة ووجوه القِراءَات قد يصرف القارئ كثيراً عن مقاصد القرآن ويُحلّقُ به في أجواء بعيدة عن فهم دلالته يقول الذّهبي :"من الخير للمُفسر أن يعرض كُل الإعراض عما لا طائل تحته مما يُعد صارخًا عن القرآن وشاغلًا عن التّدبُر في حُكمهِ وأحكامه وبديهي أن هذا أحكم وأسلم "[7]

وإذا عُلم هذا عند المُفسر أصبح من السّهل علينا وعلى كُل إنسان فهم التّفسير بدُون أي تردُدٍ ولكن هذا لا يعني أن يَنزِل المُفسّر بأسلوبه إلى درجة العامية وهي اللّهجات المتداولة وبذلك يكون قد أعرض عن أساليب القرآن وبلاغته من جهة،وبجمال العربية من جهة أخرى وما أعنيه أن يتّخذ مسلكًا وأسلوبًا فلا يتكلف ولا يُنمّق العِبارات فيحاول التّعبير بحيث إذا سمعه القارئ أدرك أبعاده وإذا سَمعهُ العالم شدّهُ حُسن الأسلُوب وطَلَاوته

2-1-السِّمات اللِّسانية وعلاقتها بالتّفسير البياني عند الشّيخ الدّهمة:

أخذت اللُّغات على إختلافها مكانة مرموقة في كل الحضارات التي مرت بها الإنسانية باعتبارها أداة التّعبير ،بالإضافة إلى كونها وظيفة للتواصل وقال كل منهم بتقدم لُغته ولم يكن العرب بِمعزلٍ عن كل ذلك فقد اِهتموا ببيان خصائص لُغة العرب من خلال ما ألّفه عُلماء العربية في مجال فقه اللُّغة وكان ربطها بالقرآن سِمة واضحة في مؤلفاتهم، وهذا ما نجده عند الشّيخ الدّهمة في معرض تفسيره للقرآن الكريم في كتابه قُطوف دانية ،فقد تحدث عن الحاجة إلى معرفة اللُّغة العربية وقد نوَّه إلى ذلك في قوله :"وأما الحاجةُ إلى تفسيره فقد اِقتضاها بُعدنا في اللّغة العربية الفُصحى التّي أُنزل بها وعجزنا عن فهم أسرارها في تراكيبها وأساليبها وحقائقها وأنماط مجازها ودليلُ ذلك أن العرب الأوّلين المعاصرين لنزوله الناجية ألسنهم من كل عَجْمَة كانُو يتأثرُون به أيمَا تأثرٍ " [8]

وتظهرُ بوادر هذه العلاقة من خلال اِظهار حُسن بيان الآيات القرآنية بالإستعانة بمستويات اللُّغة فقد مال اِبن فارس إلى أنّ القُرآن لا يُوجد فيه ما هو غير عربي وهذا ما نجدُه في تفسير الشّيخ الدّهمة وفي ثنايا العديد من مؤلفات القرآن الكريم كالبُرهان للزّركشي، والإتقان للسُّيُوطِي وكُل هذا يُوحي بإزالة كل المَطاعن عن القرآن الكريم، وهذا ما يتوافقُ مع النّظريات اللُّغوية المُعاصرة التي تضع المعاني في الدّرجة الأولى أثناء التّحليل ويحاول الشَّيخ في كُلّ مرة اِظهار معاني المُفردات والجُمل لكُل آية من آيات القرآن الكريم التي تَعرّض لتفسيرها ،فالقرآن مصدراً للإستشهاد والبرهنة عل العديد من المسائل والسمات اللسانية فالتّمكن من اِستنباط معاني الآيات وتفسيرها لا يتأتى إلا بعد التّمكن من عُلُوم اللّغة وفي هذا المعنى يقُول اِبن خلدُون :"فلما فَسُدت الملكة في لسان العرب قَيّدها الجهابذةُ المُتجردُون لذلك بنقلِ صحيح ومقاييس مُستنبطة صحيحة وصارت عُلومًا يحتاجُ إليها الفقيه في معرفة أحكام الله تعالى "[9]

فالوعيُ بضرُورة تدبُّر النُصُوص القُرآنية وتفسيرها واِستخراج أحكامها الشّرعية ومكنوناتها اللّغوية لا يأتي إلاّ بعد التّمكُن من علم اللّغة ولا يمكن بأي حال أن نفهم القرآن الكريم بعيدًا عن معرفة اللّغة العربية أصواتها، وصرفها، ونحوها ،وبلاغتها ،وأساليبها، يقول محُمد خان:" منه اِستمدت العُلوم العربية أُصولها ومن أجله وُضِعت قوانينها فقد كان القُرآن ميداناً لمُختلف البُحوث" [10]

ومن هُنا يأتي التّفسير مُستندًا على فقه اللّغة ليمُثّل كُل أشكال التّوضيح لمُفردات النّص القُرآني وتراكيبه سواءٌ بشرح لُغتهِ ،أو إستنتاج الحُكم ولو عُدنا إلى الزّركشي لوجدناهُ يُشير في مُصنّفه إلى أن اللّغة بكل فروعها ومستوياتها تُعدُّ المنبع الأول لتفسير القُرآن الكريم ولا ينحصرُ الأمرُ في المعاني ودلالة الألفاظ وإنما يُراد منها المُستويات المشهُورة كالصّوت ،والصّرف،والنّحو :والدّلالة فلا بد لمن يحاول الوصُول إلى أسرار كلام الخالق الإلمام بفنون اللّغة ومجالاتها اللّسانية لأن القرآن "أعلى منازل البيان وأعلي مراتبه ما جمع وجوه الحُسن وأسبابه وطُرقه وأبوابه من تعديل النُّظم وسلامته وحُسنه وبهجته وحُسن موقعه في السمع وسُهولته على اللّسان ووُقُوعه في النُّفوس موقع القُبول "[11]

وكي تُلبي مدونة المُفسّر طمُوح القارئ عليه أن يكُون قادرًا على صناعة تفسيرًا يتفق ومناهج البحث التي ينتجها علم اللّغة الحديث بكل فروعه النّظرية والتّطبيقية لأن صناعة التفاسير لابد أن يكون قائما على مُنجزات علم اللّغة وعُلوم اللّسان ،فقيمة المعنى لا يمكن الوُصُول إليها بدقة ما لم يبحث المُفسر في توجيهها اللّساني وصلتها القائمة مع المجتمع لذا لابد من البحث عن المعاني في الكلمات القرآنية وفي مجا لات استعمالها لأن المفردة في حقيقتها أداة لسانية لها دلالتها الخاصة لا يوحيها لفظ أخر مهما كان قريبا منه لأن الخطاب القرآني لا يخُص لفظًا دُون أخر إلا لمقدرة اللّفظ المُستعمل عن التّعبير عن دلالة مقصودة ويبدُو أن حاجة المُفسّر إلى إستعمال هذا النّمط يُؤكد السِّمة اللّسانية في الدّرس التّفسيري حرصًا منه على تقوية المعنى وخدمة اللّغة وإقناع السّامع.

2-2-تحليل سِمات البيان في سُورة الضُّحى في تفسير الشّيخ الدّهمة نماذج تطبيقية :

إن المتصفّح لتفسير الشّيخ الدّهمة يتبين له أن الشّيخ يعتمد بشكل أساسي على اللّغة بكل مستوياتها فلا يكادُ يُفسّر آية إلا ويذكرُ تخريجاتها اللّغوية ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **وَالضُّحَى،وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾[12] إن إستهلال السّورة بوَاو القسم يحملُ معنى التّعظيم بالمُقسَم به يقُول الشّيخ الدّهمة: "الواوُ: واوُ قسم في كُل من والضُّحى -واللّيل "[13]

فالقسمُ بالواو له معنى بياني وهو مُحاولة لفت الأنظار إلى الأمُور المُدركة حِسّياً فلو تأملنا كُلُّ قسم في القُرآن الكريم بحرف "الواو"يأتي بعده صورة حسية وواقع مشهود ،يقول نعيم وافي:"سنُسمّي هذه الواوُ بالواوُ البيانية وذلك أن الله تعالى جلت قدرته يُلفت نظرنا بهذه الواوُ البيانية إلى حقيقتين أحداهما مادية وأخراهُما معنوية "[14]

ولما تكلم عن تفسير كلمة الضُّحى قال :"الضُّحى وقتُ إرتفاع الشّمس بعد طُلوعهَا يُقَال في اللّغة:"ضحَا فُلان ، يضحوُ، وضَحَى ، يَضحَى، إذا أصابه حَرُ شَمس الضُّحى " [15]

وفي هذه الفقرة ذكر عدة قضايا نحوية منها المُضارعُ لكلمة "الضُحَى "وهُو يضحُو،والماضي ضحَى ولقد ذكر مسائل نحوية أيضا عندما فسّر كلمة "سجى"يذكُر الفِعل الماضي "ساجِ"ومصدرُه ،السُجُوْ بسكون الواو ،والسُجُو بضم السين والجيم، وفي هذه الآيات الكريمة إشارات وسِمات لطيفة

إلى قيمة النّحو وأهميته في بيان معاني الآيات القرآنية وفي هذا مايدعُونا إلى ضرورة الأخذ بهذا لأن ذلك يُساعد على كشف معاني ودلالات المفردة القرآنية ،وواصل ذكر القضايا النّحوية والصّرفية وذلك عند تفسير قوله تعالى :﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[16] بقوله:" وقلى فعل ماضٍ- مُضارعه يَقليُ، ومصدرهُ القِليُ بكسر القاف ،والقلاء بالمد مع فتح القاف معناه البُغضُ الشديد،واِسم الفاعل منه قَالَ "[17]

وللنحو هنا سمة يقتضيها المقام فذكر المفعول به مع الفعل "ودّع" وحذفه في الفعل الثاني "قلى "جاء أعتقد لأمر شكلي وفنّي غايته الجمال الذي تضمنته فواصل الآيات ،سجى-قلى،وهنا مبلغُ الإعجاز القُرآني المتمخض في الذِّكر والحذف" ولقد جمعت هذه الآية التكريم للرسول مرتين ،مرة بذكر المفعُول مع فعل التوديع ،ومرة بحذف المفعُول من الفعل قلى "[18]

ولما تكلم عن تفسيره لقوله تعالى :﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾[19] قال :"وهذه الجُملة معطوفةٌ بالواو على جُملة القسم واللاّم في للأخرة لامُ الإبتداء تُفيد تأكيد مضمُون الآية وفي (لك) هي لامُ الإختصاص وخيرُ اِسم تفضيل أصله- أخير- على وزن –أفعل- حُذفت همزتُهُ وغُيرت صيغتهُ، والآخرة مؤنث الآخر والأولى مؤنث الأول "[20]

وفي هذه الفقرة ذكر عدة سمات وقضايا لغوية تتعلق بالنّحو والصرف، فقد ذكر الواو وقد جاءت في هذا المقام في محل العطف ، واللاّم جاءت للإبتداء ،وتأكيد المضمُون وفي مقام أخر قد ترد للإختصاص في (ولك) وواصل ذكر القضايا الصّرفية كأسماء التّفضيل والإشتقاق في كلمة (خيرُ) التي يرجع أصلها إلى ،أخيرُ، ثم يتطرق إلى ميزانها الصّرفي فقد جاءت على وزن –أفعل- ثم اِنتقل إلى التّذكير والتّأنيث فالشّيخ هنا عدَّدَ السّمَات والملامح اللّغوية وهو بصدد تفسير كلمة الخير ومنها الإسم المُشتق ،واِسم التّفضيل ،والتّذكير والتّأنيث، والميزانُ الصّرفي ،فهو بذلك يخلُقُ حالة من التّفاعل اللّغوي بين النّص القرآني والمُتلقي من جهة، وبين القرآن والمُفسر من جهة أُخرى فالشّيخ يهتم بالنّص القرآني لغويًا ولا يهمُّه ما قيل في النّص فقواعد اللُّغة عندهُ تُؤكدها الآية المُفسّرة فهو يستنطقُ النّص وإذا تعدّدت الدّلالات وقف عند حُدود الإخبار بها ولا يُرجّحُ منها إلا ما كانت القرينة اللّغويةُ دافعةٌ إليه وقد أعطى للنّحو في تفسيره الصّدارة في ذلك لأنه أساسٌ في بيان معنى التّفسير وقد نجدُ هذا عند اِبن خلدُون عند تناوُله لعُلوُم اللِّسان العربي فقد أولى للنحو أهمية حيث يقُول :"والذّي يتحَصّل أن الأهم المقدم منها النّحو إذ به تتبينُ أصولُ المَقاصد بالدّلالة ولولاهُ لجُهل أصل الإفادة "[21]

وربما كانت مساهمة الشّيخ بهذا التّحليل وسيلة يرجُو منها نيل الثواب من تفسير القُرآن، أي تقريب معانيه إلى قارئه هذا إن دل على شيء فإنما يدل على مُنطلقه اللّغوي في التفسير واِهتمامه ببعض قضاياه مركزًا بذلك على الدّلالة اللّغوية بإعتبارها مدخلاً إلى فهم النّص القرآني "ولذلك فان النّص

الديني قرآناً وحديثاً كثيرًا ما يتحول إلى مصدر من مصادر الشرح اللّغوي يُعتمد في فهم المعنى وتدقيق الدلالة" [22]

ولما تكلّم عن تفسير قوله تعالى :﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[23] قال :اللاّم في لسوف لام اِبتداء بعدها مبتدأ مقدر –فالأصل في التركيب والله أعلم هكذا لأنت سوف يعطيك ربك ،وجملة سوف يعطيك خبره وسوف حرف تسويف " [24]

فاللاّم الموجودة في ولسوف عبّر عنها بسمة نحوية فهي عنده تدُل على الابتداء ولكن يُحتمل أن تكون لام القسم أيضًا بعد القسم الوارد في الجُملة الأولى تأتي الجُملة الثانية وتؤكد أن المولى يُعطي نبيه صلى الله عليه وسلم حتى يرضى فجاءت الجُملة هنا بأقصر عبارة لكنها بأوسع معنى وأدقُ مبنى، لان أصل الجُمل كلمات "والكلمة مجموعةٌ من الأصوات الموضوعة في قالب أو شكل صرفي وهو مبناها وأما ما تدل عليه من أفكار وأحدا ث و كائنات أو تصورات أو صفات ونحوها فهو معناها " [25]

وفي هذا اِمالة للنّفس في قبول كل المفاهيم التي تحملها الآية ودافعية أقوي للتفاعل مع المعنى والدلالة ،ولو نظرنا إلى الحرف" سَوفَ " نجدُه قد وُظِّف في اِطار نصي لساني مضبُوط لتقوية وتعزيز الرسُول صلى الله عليه وسلم ثُم يأتي التّعدي بواسطة فعل المُضارع ،يُعطي في قوله "يُعطيك" فهو فعل مُتعدي إلى مفعولين لكن الآية ذَكرت مفعُول واحد هو كاف المُخاطِب وهُنا الأمر مخصُوص بالرسُول صلى الله عليه وسلم وثانيها محذُوف ولما تكلم عن تفسير قوله تعالى :﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [26] ،تحدّث الشّيخ فقال :"الهمزةُ للاستفهام دخلت على أداة نفي هي -لم -فصار هذا الاستفهام استفهام تقرير ،ومعناه حمل المُخاطب على الإقرار بمضمُون ما بعد النّفي وهو هُنا –ثبُوت يُتمِه فإيوائه وضلاله فهدايته وعيلته فاغناه فالجُمل الثلاث من الم يجدك الى فأغنى كلها داخلة في حيّز الإستفهام "[27]

وهنا تطرق إلى قضية بلاغية والمُتمثلة في الإستفهام التقريري لاستحضار صورة اليُتم في ذِهن الرسُول صلى الله عليه وسلم وهذا يُوحي باخراج القرآن في أبهى مظاهره وأسلم معانيه وأفصح ألفاظه فالنّص القرآني فضاءٌ مفتوح يجعُل المُتلقي يُفكر ويتدبر ويتأمل، فالشّيخ الدّهمة اِرتقى بالجانب اللُّغوي في تفسيره حتى جعلُه وجهًا يطلُب منه معرفة الإعجاز وما ينبغي أن نُنَبِّهَ إليه أن أسلوب الشّيخ ومنهجُه في التّعامُل مع التّفسير واضح يُثبت ما يراهُ سليمًا ويرفَضُ ما يراه غير ذلك فكان في أُسلُوبه اِنتقاع للمادة البلاغية ويُعطي ما تواضع عليه البَلاغيُون وقد تحدث عن سمة لُغوية أخرى وهي ظاهرة الحذف حيث أورد أن مفعول أوى، محذوف وحلت محله الجُملة ،أواك وجمالية الحذف هنا أن المُتلقي يُسهمُ في اِنتاج الدلالة ويُحرر المتلقي ويجعلُهُ مشاركًا في اِنتاج المعنى يقول عبد القاهر الجُرجاني عن هذا :"فانّك تر به ترك الذِّكر أفصح من الذّكر والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون بيانًا إذا لم تُبن" [28] وهكذا نستخلصُ أن الحذف آلية من آليات

التّعبير عن المقاصد وتبليغ المعنى للمُتلقي وهو يتطلب من المُفسر قدرا كبيرا من الإحاطة حتى يكون أقدر على توصيل معناه للمتلقي وبذلك يكون الشّيخ قد إجتزأ المعنى وبين معنى العبارة وذكر الشيخ قضايا نحوية وصرفية لما فسر قوله تعالى :﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [29]،بقوله :"ضالاً-إسم فاعل من ضَلّ، يَضِلُّ ،والمُرادُ بالضّلالة هنا والله وأعلم بمراده الغفلةُ عن شريعة الإسلام "[30]

فلفظة ،ضالاً ،جاءت إسم فاعل مُشتقةٌ من الفعل ،ضَلّ ،يَضِلُّ وهذا المعنى هو الذي يُبينُ حقية توجُه الآية الكريمة ولا يستقيم التّحليل إلا بهذا التخريج اللّغوي وبهذا ترتبطُ كلمة ضالاً، ارتباطًا وثيقًا بمتن السُورة إذ يتطلبُ فهم مدلُولاتها تحليلاً لغويًا لبُنيته السّطحية والعميقة فلفظة ،ضالاً ،صوَّرت لنا الحالة التي كان عليها الرسُول صلى الله عليه وسلم قبل هدايته، وهنا نجدُ الشّيخ قد توسّع في المعنى وجعل من المادة اللُّغوية مرتكزًا لاضاءة بعض جوانب النّص القرآني وقد بدى ذلك جليًا عند تحليله بعض معاني وألفاظ القرآن الكريم اشتقاقيًا ،وصرفيًا ،ومعجميًا ،ووظيفيًا ذلك إن دل على شيء فانما يدُل عل وعي وعُمق الشيخ بأسرار اللّغة العربية وجمالها وتفحُصه الثاقب لدقائق الأسلوب القرآني البديع ،وفي تفسير نفس السورة قال :"عائلاً،إسم فاعل من ،عَال –يَعِيلُ ،بمعنى افتقر والإسم :العيلة " [31]

فقد استمر الشيخ في تفتيق الإمكانات اللّغوية للألفاظ القرآنية وبيان ما تنطوي عليه من إفضاءات دلالية بُغية إبراز المَلمَح البياني الذّي يجعُل منه غاية لتقرير المَلمَح التّفسيري لدى المُتلقي ويَعمدُ في التّوسع في هذه الجُزئية من خلال إعطاء المصادر للأفعال والأسماء وبيان معانيها ولمّا فسّر قوله تعالى :﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[32] ،قال :"الفاء الأولى في ،فأمّا فصيحة لأنها تفصحُ عن المقصُود من الكلام السّابق ،والفاء الثانية في فلا تقهر واقعة في جواب أما التّي هي حرف شرط وتفصيل في الآيات الثلاثة " [33]

ما يبدو في هذا التحليل اللّغوي للشيخ لهذا التركيب القرآني أنه لم يخرج عن قواعد اللّغة العربية الشائعة إذ أعطى لكل حرف دلالته محاولاً استثمارها في بيان مقصود الآية الكريمة فأسلُوب القصر واضح في الآية الكريمة حيث كان الحصر ،بأما والفاء لضرورة النّهي عن هاذين الفعلين ،وجاء استعمال أما هنا للتفصيل وهي لا ترد إلا في سياق الكلام وقد وردت لإفادة الشّرط عند الشيخ هذا الأمر يُلاحظ في تقدير الكلام وهذا الجانب يتحقق من خلال الجُملة –مهما يكُن من أمر فلا تقهر اليتيم ولا تنهر السائل حدث بنعمة ربك –ومن مظاهر السمات اللّغوية البارزة في التفسير البياني للشّيخ حروف العطف ،ومن ذلك حرف ،الواو ،والفاء،فقد إختلف العُلماء، والنحويُون حول دلالة حرف العطف الواو "،فذهب بعضُهم أنها تفيد الجمع من غير ترتيب وقال آخرُون أنها للترتيب " [34]

لذلك اختلف موضع ،الفاء من موضع الواو في التعبير القرآني على العموم ،وقد جاء في تفسير الشّيخ الدّهمة ليدُل على الإفصاح ويجعل المعنى أرقى من حيث دلالته وبيانه، كذلك ظاهرة التقديم

والتأخير التي تناولها الشيخ عند إعرابه لكلمة اليتيم حيث أورد أنها جاءت مفعُول به مُقدّم للفعل ،تقهر فالعدُول في الرُّتبة من أهم مُقومات البلاغة ولا يكون هذا العُدُول اعتباطاً بل لِعلَّة مقصُودة ،وجاءت هنا للاِهتمام بشأن اليتيم والنّاظرُ إلى القواعد النّحوية يجد لها أثر في تحديد الترتيب فتنتظِمُ مُفرداتُ النّص القُرآني من خلالها وهذا التقديم والتأخير له تَعَلُّق خفي بالمعنى إذ من خلاله يُمكن أن نصل إلى المطلُوب فالشّيخ هُنا عدّد القضايا اللّغوية نحو تناوله للفعل المُضارع ،تقهرُ ،وأداةُ جزمه ،لا النّاهية واِسم الفاعل ،السائل ،والاشتقاق في كلمة سائل من الفعل نسأل .

خُلاصة:

الملامح اللّسانية للتفسير البياني تجسّدت في كُل السّور التي فسّرها الشيخ في كتابه قُطوف دانية، من خلال توظيفه لمستويات اللّغة وهذا البحث وقف على سورة الضُّحى كعينة أعطت الحجة على منهجه اللّغوي القائم في التّفسير من خلال اِستظهار ما فيها من قضايا لُغوية شملت النّحو والصّرف والدّلالة وغيرها ،فبعد الطّواف في مكنُونات هذا الكتاب أخلُص إلى بعض النتائج الرئيسية منها:

- ✓ أن الاتجاه اللّغوي قد أخذ الحيّز الكبير في مُدونة الشيخ الأخضر الدّهمة فمن خلاله كشف أغوار المعاني
- ✓ تبين أن هناك علاقة وطيدة بين اللّسانيات وعلم التفسير فكل منهما تكملة للأخر
- ✓ طريقة تفسير سُورة الضُّحى وإيجاد معنى آياتها بواسطة العناصر اللّسانية لم يكن بمنأى عن اللّغة نفسها وجُهُود العُلماء السابقين
- ✓ أن اللّسانيات منهجٌ واسع لابد للمُفسّر من الوُلُوج إلى أدواته وآلياته لتفكيك وشرح النّص القُرآني

في الأخير أقترح دراسة أخرى لهذا الكتاب تُركز على اللّسانيات التّداولية وعلاقتها بالتّفسير اللّغوي عند الشيخ الدّهمة

الإحالات:

[1]-الجاحظ عمر،البيانُ والتّبيين ،تحقيق عبد السلام محمد هارُون ،،دار الجيل ،بيرُوت،ب ت،ج1،ص76

[2]-الراغبُ الأصفهاني ،2006،مُعجم مُفردات ألفاظ القرآن الكريم ،تحقيق يُوسف محمد الشّيخ البقاعي ،دار الفكر بيروت،ط1،ص185

[3]-بنت الشاطئ عائشة ،التّفسير البياني للقُرآن الكريم ،دار المعارف ،القاهرة ،ط07،ص10

[4]-إبراهيمي طاهر،2017،تحقيقات في اللّغة والدّراسات القُرآنية ،دار الضُحى للنشر والإشهار ،الجلفة ،ط1،ص92.

[5]-الأخضر الدّهمة، 1418-1998 ،قُطوف دانية، المطبعة العربية ،غرداية ،ج1،ص02

[6]-الصّباغ محمد بن لُطفي ،1988،بُحُوث في أُصُول التّفسير ،المكتب الإسلامي ،بيرُوت ،ط1، ص244

[7]-يُنظر الذهبي محمد حُسين،1982 ،التفسير والمُفسرُون ،مكتبة وهبة ،القاهرة ،د.ط،ص182-183

[8]-الأخضر الدّهمة، 1418-1998 ،قُطوف دانية،المطبعة العربية غرداية ،ج2،ص05

[9]-يُنظر الزركشي بدر الدّين ،1957،البُرهان في عُلوم القرآن ، مكتبة التُراث ،د ط،القاهرة ،مصر ،ص123

[10]-البدراوي زهران ،2008،مُقدمة في عُلوم اللّغة ،دار العربي ،مصر ،ط1،ص25

[11]-الباقلاني أبو بكر ،2001 ،إعجاز القُرآن ،تح السّيد أحمد صقر ،دار المعارف للنشر ،مصر ،د.ط، ص419

[12]-سُورة الضُحي،الآية : 01-02-03

[13]-الأخضر الدّهمة،1418-1998 ،قطوف دانية ،المطبعة العربية ،غرداية،ج2،ص03

[14]-الوافي نعيم ،نظرة بلاغية في سُورة الضُحى ،شبكة التفسير والدّراسات القرآنية

[15]-الأخضر الدّهمة،1418-1998 ،قُطوف دانية، المطبعة العربية ،غرداية ،ج2،ص03

[16]-سورة الضُحى ،الآية : 03

[17]-الأخضر الدّهمة ،1418-1998،قُطوف دانية،المطبعة العربية ،غرداية ،ج2،ص04

[18]-السّامرائي فاضل ،1998،لمسات لسانية في نُصُوص من التّنزيل ،دار عمار،عمان ،الأردن، ط1 ،ص157

[19]-سُورة الضُحى ،الآية: 10

[20]-الأخضر الدّهمة ،1418-1998، قطوف دانية ،المطبعة العربية ،غرداية ،ج2،ص05-06

[21]-الجطلاوي الهادي ،1998،قضايا اللّغة في كُتب التّفسير ،المنهج ،التأويل ،الإعجاز ،دار مُحمد علي الحامي للنشر ،تُونس،ط1،ص58 .

[22]-الطّبري ابن جرير،1988، جامع البيان في تأويل القُرآن،دار الكُتب العلمية ،بيرُوت ،لُبنان ،د.ط،ص217

[23]-سُورة الضُحى ،الآية :05

[24]-الأخضر الدّهمة ،1418-1998 ،قطوف دانية ، المطبعة العربية ،غرداية ،ج2،ص07

[25]-قدُّورأحمد مُحمد ،2008،مبادئ اللّسانيات ،دار الفكر المعاصر،دمشق ،ط02 ص196

[26]-سورة الضُحى ،الآية: 06

[27]-الأخضر الدّهمة ،1418-1998،قطوف دانية، المطبعة العربية ،غرداية ،ج02 ،ص08

[28]-الجُرجاني عبد القاهر ،2004،دلائل الإعجاز ،مكتبة الخانجي ،القاهرة،ط05 ،ص146

[29]-سورة الضُحى ،الآية: 07

[30]-الأخضر الدّهمة ،1418-1998،قطوف دانية ، المطبعة العربية ،غرداية ،ج2،ص12

[31]-المرجع نفسه ،ص13

[32]-سورة الضُحى ،الآية رقم:09-10-11

[33]-الأخضر الدّهمة ،1418-1998،قُطوف دانية ، المطبعة العربية ،غرداية ،ج2،ص14

[34]-بركات يوسف ،2000،شرح قطر الندى وبل الصدى ،دار الفكر الإسلامي الحديث، مصر،ص404